

السنة الاولى

الجزء الثاني عشر ٣١ آب سنة ١٨٨٤

جرثومة الهوآء الاصفر

لما فشت الهيضة الوبائية المعروفة بالهوآء الاصفر في مصر في السنة العابرة نشأ على اثر ظهورها في دمياط خلاف بين الباحثين عنها هل تولدت في البلدة المذكورة من جراثيم اصلية او جُلبت اليها من الهند واهتزّ لها العالم خوفاً من انتشارها وامتدادها فبعثت الدولتان الفرنسوية والالمانية وفدين من اطبائهما لتحقُّق اصلها والبحث في وسائل الوقاية منها وكان من امر هذين الوفدين انهما قدما الاسكندرية والوبآء منتشرٌ فيها واخذ كلٌّ منهما يبحث على حدةٍ في اسباب العلة واعراضها ويشرّح جثث المتوفين بها لتحقق مقرّ الاصابة ويجري الفحص بالمجهر ليطلع على الجراثيم الوبيلة ويجرى التجارب المتنوعة لنقل العلة الى الحيوانات العجم بواسطة التلقيح الى غير ذلك من ضروب البحث والامتحان التي من شانها ان توصل الى معرفة اسباب العلة وطرق الوقاية منها. وبعد فراغهما من عملها رفع كلٌّ منهما الى حكومتهِ تقريرهُ فكان محصّل تقرير الوفد الالماني ان الحييوينات التي كان يقال انها سبب العلة تظهر كثيرةً جداً في البراز على انواع مختلفة منبثة فيهِ على السوآء لكن ظهر بالفحص بعد التشريح ان نوعاً منها من صنف الانبوبيات قد نفذ دون غيرهِ في جدران المعى الدقيق عند طرفهِ الاسفل فاخترق غدد غشائهِ المخاطي الانبوبية مستطرقاً الى باطنها وشوهد قدرٌ منهُ في بعض الاحوال على ظاهر الاجربة المخاطية المعوية ووُجد كثيرٌ منهُ نافذاً في نسيجها مجتاحاً الانسجة والغدد حتى الطبقة العضلية وذلك في الحوادث الثقيلة المصحوبة بارتشاح دموي ولم يرَ شيءٌ منها في الدم وفي الاعضاء التي

تتخذها مقرًا لها في الامراض العفنية كالرئتين والطحال والكليتين والكبد ولم يبدُ اثر منها بعينها في جثث الذين توفوا بامراضٍ غير الهيضة الوبائية فحكم الوفد المذكور بان هذه الانبوبيات هي علة ظهور اعراض المرض. وكان تقرير الوفد الفرنسوي مطابقًا في كثير من القضايا للتقرير المتقدم ذكرهُ الا انهُ خالفهُ بان الانبوبيات التي ادعى حدوث اعراض المرض عنها ليست في شيءٍ مما زعم لانهُ لم يشاهدها في ثلاث جثث شُرّحت بعد الوفاة بالحالة الصعقية من العلة المذكورة ولكنهُ رأى في دم جميع الذين شرَّحهم ممن توفوا بهذه العلة هُنيَّات صغيرة غير واضحة اللون مستطيلة الشكل محصورة في الوسط تضاهي الهنيات الصغيرة الموجودة في خمير اللبن الا انها اصغر منها فنسب اليها فساد الدم وتعفنهُ وبالتالي عوارض العلة وسبب الموت. وكلا الوفدين لم يستتبّ لهما نقل المرض الى الحيوانات العجم بواسطة التلقيح وقد ارتأى الدكتور كوخ رئيس الوفد الالماني ان طريقة التلقيح لا تنجع متى كانت الوافدة مناهزة للزوال كما كانت الحال في وافدة الاسكندرية اذ ذاك لان سمّيتها تكون حينئذٍ اخفّ ولذلك لم يقطع حبل رجائهِ من هذه الامنية وعمد الى تحقيق هذا الرجآء في الهند منشأ العلة الاصليّ فرحل الى كلكتا واقام هناك على البحث والاستقصاء لا يبالي بتحمل المشقات والتعرض للاخطار وقد بعث بتقارير كثيرة الى حكومتهِ في اثناء وجودهِ في كلكتا يذكر فيها ما كشفهُ من امر الوبآء مما تبين بهِ كثيرٌ من غوامض هذه العلة. ولما فشا الوبآء في طولون منذ امد قريب قدم اليها وحضر اللجان الطبية الفرنسوية المنعقدة للبحث فيها وانّا نتوقع مزيد بيان على ما عُني بكشفهِ في مصر والهند فننشرهُ حينئذٍ تتمةً للفائدة

ومحصل تقاريرهِ الآنفة الذكر انهُ ثبت لهُ بعد الخبرة ان الانبوبيات (الباشيلوس) التي كشفها في الاسكندرية هي دون غيرها من النقاعيات سبب الظواهر المرضية وقد تهيأ لهُ اثبات ذلك بمزاولة التشريح وتكرارهِ في حوادث متشابهة الاعراض خلافًا للحوادث التي عرضت لهُ في الاسكندرية حيث كانت الوافدة مناهزة للزوال فكانت حوادثها مختلفة الظواهر. وقد شرّح في كلكتا ٢٨ جثة منها ١٧ ممن توُفوا بالهوآء الاصفر فوجد في جميعهم الانبوبيات التي وجدها في جثث الذين شرّحهم في الاسكندرية ممن توُفوا بهذه العلة ولم يرَ شيئًا منها في الاحدى عشرة جثةَ الباقية لان اصحابها توُفوا بامراض مختلفة اخصها الذرب والديسنطاريا وشرّح حيواناتٍ هلكت بقروح معوية وبالتهاب الرئة وغير

ذلك ودقق في فحص الماء الآسن المشحون بالنقاعيات والمياه الغَمقية فلم يجد في شيء مما ذُكِر اثر الانبوبيات التي وجدها في جثث المتوفين بالهوآء الاصفر . ثم انهُ امات احد الحيوانات تسميمًا بالزرنيخ فشهد ان الظواهر المرضية مشابهة فيهِ للظواهر المرضية في الذين يموتون بالعلة المذكورة ولكنهُ لم يجد للانبوبيات المحكي عنها اثرًا في الحيوان المذكور فقطع بانها خاصة بالهوآء الاصفر وانها علتهُ الفاعلة وسبب ظهور اعراضهِ المختلفة

وقد وصف الانبوبيات المذكورة وصفًا مدققًا اتى فيهِ على بيان الخصائص التي تُفرَق بها عن سائر النقاعيات فقال انها ليست مستقيمة الشكل كالانبوبيات المعروفة ولكنها عقفاء تشبهُ الضمة او الهلال فاذا زُرعت في سيال نقيّ اشبهت رقم الثمانية الافرنجي 8 واصطفت صفوفًا طويلة تتحرك حركات سريعة خصوصية الى جميع الجهات واذا زُرعت في سائل يتضمن مادة هلامية تغتذي بها تضامت بعضها الى بعض اسرابًا وظهرت على هيئة كتل لا لون لها كانها قطعٌ صغيرة براقةٌ من الزجاج مجتمعة بعضها الى بعض فاذا لُوّن السائل بقليل من صبغة الانيلين اكتسبت لونًا ازرق فظهر شكلها بوضوح كالضمة او الهلال

وقد اثبت ان مقرّ هذه الانبوبيات الجزء السفلي من المعى الدقيق على ما تقدم بيانهُ فلا يوجد لها في المعدة اثر الا لاسباب طارئة كأن تكون محمولةً بالمادة المستفرغة من المعى الى المعدة اذا كان القيآء شديدًا ولذلك لا تظهر الا في البراز اما ظهورها في القيء فعارضٌ لا يُعتدّ بهِ . ووجودها في المعى يختلف تبعًا لاطوار التهيج فتكون قليلة في ابتداء العلة وكثيرةً في ابان هيجانها ثم تبتدئ تقل عند النقه حتى تنفقد تمامًا في حين الصحة . ويطابق هذا التطور وجودها في البراز لانها تكون قليلة فيهِ في بدآءة العلة حيث تكون المستفرغات نشائية مع ان سائر النقاعيات تكون فيها كثيرة ثم متى استحالت المستفرغات الى سائلٍ صافٍ قلت سائر النقاعيات وكثرت هذه الانبوبيات جدًا ومتى خفّت العلة وتلوّنت المستفرغات قلّت الانبوبيات المذكورة حتى لا يبقى لها اثر في حالة الصحة

وقد حاول الدكتور كوخ جهدهُ ان يحدث الهوآء الاصفر صناعيًا في الحيوانات العجم بواسطة التلقيح فاخفق مسعاهُ ولذلك رجح عندهُ ان الحيوانات معفاة من الاصابة بالعلة المذكورة وانها لو كانت مفطورة على التأثر بوبالتها لما سلم من اذاها حيوانٌ من حيوانات بنغال حيث لا تزال هذه العلة ضاربة الاطناب والحال ان حيوانات ذلك

المصرلم تتأثر بوبالتها مع تعرضها لها تعرضاً مستمراً قال ولا يستنتج من عدم نقل الهوآء الاصفر الى الحيوانات بواسطة التلقيح ان الانبوبيات المذكورة ونسميها بالنُغيفات[1] ليست هي الفاعل الخصوصي المحدث للعلة المذكورة لان التيفوس البطني والجذام هما علتان مسببتان عن نوع من النقاعيات مختص بهما على انهُ لم يمكن الى الآن نقلهما الى الحيوانات العجم بواسطة التلقيح

وقد اورد الدكتور كوخ براهين كثيرة غير المتقدم ذكرها على ان النُغيفات المذكورة هي المادة المتوقف عليها الفعل الوبيل للهوآء الاصفر منها ان الثياب الملوثة ببراز المصابين بالعلة المذكورة اذا تركت ٢٤ ساعةً في محل رطب تظهر فيها هذه النغيفات ظهوراً واضحاً وتكون كثيرة المقدار جدًّا ولا تزال تزداد كثرةً مدة ايام وبهذا يُعلَّل انتقال المرض الى الاصحاء من ثياب المصابين بهذه العلة ولا يخفى ان الغسّالات قلّما يتخلصنَ من عدواها متى لمسنَ الثياب الملوثة وغسلنَها . ومنها ان ماء الجداول والانهر يكون حاملاً لهذه الجسيمات اذا طُرِحت مُبرَزات المصابين بالعلة المذكورة وغسالة ثيابهم الملوثة فيها ولذلك يكون ماؤُها حينئذٍ فاعلاً في انتشار العلة كما عُلِم ذلك مراراً وتحقق منذ وافدة غوادلوب سنة ١٨٦٥

ومما اثبتهُ الدكتور المذكور انهُ اذا طُرِح براز المصابين في اماكن رطبة او وُضع في ارض ندية متخلخلة التربة نمت فيهِ هذه النغيفات نموًّا سريعاً فتتحول الطبقة الرقيقة المؤلفة منها بعد ٢٤ ساعة الى كتلة غليظة . وقد وجد ان التجفيف يقتلها بسرعة غريبة فلا تثبت اكثر من ثلاث ساعات خلافاً لسائر الاصناف من نوعها وبهذا يعلل عدم انتقال الهوآء الاصفر بالرياح الى الاماكن البعيدة وسريانهُ ببطء متى حملهُ الانسان نفسهُ

ومما توضحهُ الدكتور المذكور ان النغيفات المذكورة لا تنمو ولا تتوالد الاَّ في بيئة تشتمل على موادّ مغذية قلوية الفعل وان كمية قليلة من حامضٍ صرف تستوقف نموها مع ان الحوامض لا تؤثر تأثيراً يعتدُّ بهِ في سائر النقاعيات ولذلك اذا دخلت النُغيفات معدة انسان صحيح غير مصاب بخلل في وظائف الهضم هلكت لان في المعدة غدداً تفرز سائلاً حامض الفعل فاذا حدث ان احد الاصحاء ذوي المِعَد السليمة اصيب بالهوآء الاصفر فذلك انما يكون من قبل مرور بعض نغيفات العلة المذكورة سليمةً الى المعى حيث

(١) جمع نُغيفة تصغير نَغَفة وهي دودةٌ عقفاء صغيرة

تنمو وتكثر الى ما لا نهاية لهُ في سوائلهِ القلوية . واوضح ان الذين اصيبوا بهذه العلة ممن راقبهم في الوافدات التي وقعت تحت معاينتهِ كانوا مصابين من قبل بظواهر عسر الهضم والتخمة وغيرهما من امراض المعدة . وعلّل اجتياح النغيفات للقناة المعوية بانهُ يوجد نوعٌ منها لا يزال غير معروف لا تؤثر فيهِ الحوامض ولا يفرخ الا بعد حين من دخولهِ الى القناة المعوية في بيئةٍ ملائمة. وهذا النوع انما هو "الجراثيم الثابتة" التي عُرِف وجودها في غيرها من النقاعيات فمتى كُشف عنهُ الغطاءُ انجلى سائر معميات هذه المسئلة فعرِف سبب هياج العلة في بعض الاحوال وانتشارها وافدةً لا تبقي ولا تذر ووضحت علة انتكاسها بعد هجوعها اشهرًا وسنين عديدة وتبينت حقيقة بقائها متوطنة في الهند الى غير ذلك من المسائل التي لا تزال متواريةً في حجاب الغيب

وقد ردَّ الدكتور كوخ على الوفد الفرنسوي وفنَّد ما جآءَ بهِ من ان في دم المصابين بالهوآء الاصفر هُنيّاتٍ هي سبب حدوث العلة وعلة تعفن الدم وحدوث اعراض المرض كما ذكرنا آنفًا فاثبت ان الهنيّات المذكورة ليست مختصة بدم المصابين بالهوآء الاصفر لانها تشاهد كذلك في التيفوس الارقط وفي ذات الرئة وان قوننغام كشفها في دم المصابين بالهوآء الاصفر ووصفها سنة ١٨٧٢ في رسالةٍ لهُ في ماهية الفاعل الحادثة عنهُ هذه العلة فلم يبقَ الّا ان علة الهوآء الاصفر هي النُغَيفات المذكورة ولعلهم عن قليل يتوصلون الى العلاج القاطع لهذا الدآء والله الوافي

رحلة علمية في شمالي سوريا من ٥ الى ١٤ من حزيران

لحضرة الفاضل الدكتور جورج بوست

(تابع لما في الجزء السابق)

وكان وصولنا الى انطاكية بعد الظهر بساعتين وهي على اثنتي عشرة ساعة عن كسب وست وعشرين ساعة عن اللاذقية على حساب مشي الجمل واما الخيال فيبلغها من اللاذقية في ثماني عشرة ساعة ومن كسب في ثمانٍ . وكانت انطاكية فيما مرَّ من الدهر مدينة انيقة البناء شديدة المنعة كما يشهد بذلك سورها الذي يمتدُّ نحو ٤٠٠ متر فوق البلد على سطح الجبل ثم يأخذ مسافة ساعة الى الشمال ثم ينحدر الى السهل وكان منتهاهُ قديمًا عند

العاصي . وقد اشتهرت هذه المدينة قديمًا بالسطوة والغنى وكانت دولة ملوكها ممتدة من البحر المتوسط الى ما بين النهرين ومن جبال طورس الى جنوبي فلسطين الى ان خربها كسرى احد ملوك الفرس وكان السبب في ذلك انهُ لما افتتحها وملك ما يليها من البلاد هجاهُ اهلها فامر بتدميرها فدُكّت برمتها الى الارض ونُسفت بيوتها من أُسُسها حتى لم يعد يُعرَف لها اثر

ومما لاحظناهُ في جوار هذه المدينة الجسر الذي يقطع وادي الحرس وكان قديمًا قسمًا من القناة الآتية من بيت الماء الى انطاكية فان عضائد هذا الجسر مغشاة براسبٍ كلسيٍّ (استلكميت) بعضهُ اكثر من مترٍ غلظًا حتى لاتكاد تظهر من تحتهِ هيئة العضائد وبنيتها الاصلية وانما ترى كانها صخرٌ طبيعي . ومعلوم ان رسوب المادّة الكلسية يختلف سرعةً بحسب مقدار الماء الراشح ويختلف مقدار هذا الماء لاسبابٍ كثيرة بين قرنٍ واخر. فاذا وُضعت عظام في كهف فقد يتفق ان يرشح عليها ماءٌ غزير مدّةً من الزمان فتكتسي طبقة كلسية غليظة ثم يتحول ذلك الماء الى مجرى آخر مدة اخرى فلا يرسب في تلك المدة شيءٌ على العظام ولاسبابٍ كهذه لا يتأتى تحقيق مدة بقاء العظام في الكهف من غلظ الطبقة التي تغلفها

ومما هو جدير بالذكر في انطاكية سمك الانكليس الذي يصطادونهُ بكثرة فانهُ يألف الانهر المكدّرة اكثر من الصافية لانهُ يقتات من الحمأة الراسبة في قعرها ويشتغل بصيدهِ جانبٌ كبير من اهل البلد بان يقطعوا النهر بسدٍّ قطعًا منحرفًا بحيث يجتمع الماء الى موضع ضيّق ينصرف منهُ فيضعون امام ذلك الموضع شباكًا يتسرب اليها الانكليس في مجرى الماء فياخذونهُ وهو عندهم من جملة اركان التجارة يملحونهُ ويرسلونهُ الى سائر الجهات

ويكثر في وادي العاصي نبات السوس وينبش الفلاحون عرقهُ ويبيعونهُ للتجار فيرسل الى اوربا واميركا لصنع الرُبّ . ولقد كان الجدير باهل البلاد ان يتولوا صنع هذا الرُبّ بانفسهم لان الأُجر هنا رخيصة فتكون نفقاتهُ اقلّ فضلاً عن نفقات النقل الكثيرة لما هو معلوم من ضخامة هذا العرق في خفة وزنهِ بحيث ان جوالقاتٍ منهُ لا تجمع الاقدرًا يسيرًا ويضاف على ذلك ما يترتب عليهِ من الضرائب والمكاسب ذهابًا وايابًا شأن غيرهِ من سائر التجارات والمصنوعات التي كان يمكن اهل البلاد ان يتولوا تجهيزها

في البلاد ويكفوا انفسهم هذه النفقات التي لا طائل تحتها ولا داعي اليها

وقد قضينا بقية يوم وصولنا بتغيير الورق النشاش على رواميز النبات ثم نهضنا في اليوم التالي وهو اليوم الثامن من سفرتنا وقد زال عنا بعض التعب السابق وصعدنا قبل الظهر الى قمة الجبل المشرف على البلد فوجدنا علوهُ ٤٠٠ متر عن العاصي ولم نجد في ذلك الجبل من آثار الابنية سوى الاسوار والبروج وبركة كبيرة قرب راس الجبل فيظهر ان تلك الناحية من المدينة لم تكن مأهولة . اما صخور هذا الجبل فكلسية وانما سحنهُ ناريّ ويظهر ان وادي العاصي في هذا الموضع قريبٌ من المراكز النارية الباطنة لما يكثر هناك من الزلازل التي خرَّبت المدينة مرارًا واماتت خلقًا كثيرًا من اهاليها

ثم توجهنا من انطاكية نحو الشمال وبعد ساعتين وصلنا الى قريةٍ لشراكسة تلك الناحية فنصبنا خيمتنا تحت جميزة كبيرة هناك ثم صعدنا الى جناح الجبل الاحمر الى علوّ ٨٠٠ متر تقريبًا لنبحث عن نباتهِ فوجدنا فيهِ نوعين لم يشرحها احد من العلماء قبلاً وانواعًا كثيرة مما يختص بهذه الاقاليم وفي جملتها نوعٌ من الرِوَنْد قطر اوراقهِ ٧٠ سنتيمترًا ونوع من البلاركونيوم (العطر الافرنجي) ازهارهُ ارجوانية بهيجة وكثيرًا ما وددنا لو امكننا الصعود الى اعلى الجبل لانهُ من اغنى المواضع النباتية التي صادفناها في كل تلك الرحلة

اما قرية الشراكسة فتمتاز عن سائر قرى تلك الناحية بحسن ترتيب البيوت فان ساحات الدور محاطة بسياج مصنوع من قضبان مركوزة في الارض قد حُبكت فيها عساليج الصفصاف وغيرهِ من الاغصان اللينة وفي كل واحدة من هذه الساحات مأوى للحيوانات الاهلية وفي داخلها او بجانبها جنينة فيها انواع الخضراوات وفي سوق القرية جدولٌ جارٍ تتفرع منهُ سواقٍ الى كل جنينة . وهؤلاء القوم جماعةٌ من جالية الشركس قد نزلوا تلك القرية وعمروها ومع ما هم عليهِ من الاغتراب وعجمة اللسان وقلة ذات اليد فان ما رأينا من حال قريتهم يدلّ على انهم قوم مروّضون من ذوي النشاط والاقدام خلافًا لما رأينا عليهِ الاهالي الوطنيين

وفي اليوم التاسع صعدنا من تلك المحلَّة الى الجبل المسمى عند اهل بيلان قِزِل طاغ وهو شمالي الجبل الاحمر ولم نصل الى اعلى قمم هذه السلسلة لانها بعيدة الى جهة الغرب غير اننا قدَّرنا ان علوها يكون نحو ١٠٠٠ متر . والجبل الذي صعدنا اليهِ كلسيٌّ وطينيٌّ ولم نجد في صخورهِ دفائن وينفصلُ عن سلسلة غيور طاغ وادي بيلان وهو اسهل

الاودية المستطرقة من الساحل الى سهل حلب وقد شرعت الحكومة في مد سكة المجلات فيهِ منذ نحو ١٥ سنة وهي اليوم مهتمة باتمامها الا انها لا تصلح المجلات الا من بيلان الى الاسكندرونة

ويمتدُّ شرقي جبال غيور طاغ سهل فيهِ بحيرة تعرف ببحيرة انطاكية ويقال لها في التركية اك دنس وينحدر اليها من الشمال نهران ينصبّان فيها احدهما شرقي ويسمى نهر عفرين والآخر غربي ويسمى نهر قراسوى وبينهما مستنقع متسع لو حُفرت فيهِ ترع واخاديد اصلح لزرع الارزّ وهو الآن مهمل لا يفيد سوى اسراب الطير التي تأوي الى بِركهِ

ثم صعدنا الى راس الجبل المشرف من الشمال على وادي بيلان وهو اول قمة من سلسلة غيور طاغ وتكسوهُ الغابات الى قرب راسهِ ولا سيما من جهة الشرق وكثيرًا ما يأوي الى هذه الغابات الخنازير البرية والنمورة. وعلوّ هذا الجبل ١٧٠٠ متر كما سبقت الاشارة اليهِ وهو مؤلف من صخر كلسيّ لبنانيّ وبقية رؤوس هذه السلسلة لا تظهر اعلى من ذلك ولم يوجد على احدها ثلج في ذلك الوقت غير ان اكثر سفوحها مكسوٌّ بالغابات. اما الصخر الناري فيبرز عند سفح هذا الجبل فوق بيلان بقليل

اما قرية بيلان فهي اشبه بزحلة من لبنان مبنية على جانبي وادٍ عميق ومنظر بيوتها كبيوت زحلة وكذلك تلولها فان ترابها ابيض وفيها وحولها كروم كثيرة ويشرف عليها جبال شامخة وموقعها حصين جدًّا يمكن نفرًا قليلاً فيها ان يدافعوا جيشًا كثيرًا

وفي اليوم العاشر نزلنا من بيلان على السكة الجديدة الى الاسكندرونة وكانت الصخور نارية الى مسافة نصف ساعة ثم علاها النَضَد الطباشيري ثم الكلسيّ اللبنانيّ ولم نعد نرى الصخور النارية. وعند سفح الجبل رأس العين وهو ينبوع كبير مؤلف من عدة ينابيع تنبع بقوة شديدة عند ملتقى الجبل والساحل عذبة الماء في الغاية وهذا الماء مجرور الى البلد في انابيب من الفخار الا انهُ يصل فاترًا خبيثًا بسبب العشب المتولد في الانابيب ولذلك يعاف اهل البلد شربهُ ويبتاعون الماء من البساتين مجلوبًا على ظهور الدوابّ. على ان اكثر هذا الماء يذهب سدًى بل ينشأ عنهُ اضرارٌ وخيمة لانهُ ينصبُّ الى مستنقع قذر جدًّا لما يطرح فيهِ من اقذار المدينة فيتصاعد عنهُ ابخرة غيلية تنشأ عنها امراضٌ عضالة مع انهُ كان من الممكن ان يحول ذلك الغيل الى مروجٍ خصيبة او يُستغل منهُ على الاقل مقدارٌ عظيم من الارزّ

وجملة القول ان البلاد التي جلنا فيها في هذه الرحلة بلاد انيقة مخصبة وفيها من الصفات الجيولوجية ما يرتاح اليهِ المولع بهذا الفنّ جدًّا وغاباتها مملوءة من اصناف النبات التي لا وجود لها في جنوبي سوريا ومأواها كثيرٌ متفرقٌ في سواقٍ لا تحصى الا ان جانبًا كبيرًا من اراضيها غير مأهولٍ وقد جمعنا في سبعة ايام الشغل مدة الرحلة ما ينيف على مئتي نوع من الانبتة الخاصة بها خلا الانواع المشتركة بينها وبين جنوبي سوريا . انتهى

عوالم اللجج

وجهت الحكومة الفرنسوية لجنةً من اهل العلم للبحث فيما يمكن الوقوف عليهِ من احوال العوالم الحية على اعماقٍ مختلفة من البحار فأبت بعد البحث الطويل والاعمال الشاقة وقد وُفقت الى اكتشافٍ بديع وهو ان في الاوقيانس عالمين متميزين من الحيوانات لا يختلط احدهما بالآخر الواحد منهما سطحيٌّ وهو الانواع المعروفة من حيوان البحر والآخر غائر يبدأ ظهورهُ عند عمق ٢٥٠٠ متر وقلما يتجاوز ٣٠٠٠ او ٤٠٠٠ متر ولا يصعد الى سطح البحر على الاطلاق

فصار من همّ العلماء بعد ذلك ان يبحثوا فيما يعرض لهذه الحيوانات اذا تبادلت بيئتها اي اذا صعدت الغائرة منها الى السطح او غاصت الطافية الى الغور فكان من نتائج الامتحان ان صعود الغائرة منها الى السطح يفضي بها الى الموت لا محالة لانها لا تصل اليهِ الا ميتةً وتتغير بنيتها فتصير رخوةً هشّة القوام سهلة التمزُّق في الغاية . واما انزال السطحية الى الغور فلم يتحنوهُ الى الآن الا ان المسيو رَنْيار عمد فيهِ الى بعض التجارب الصناعية فاتخذ آلةً خاصةً تمكن بها من ضغط الهوآء بحيث يكون ضغط ١٠٠٠ جوٍّ منهُ مساويًا لضغط ١٠٠٠ متر من ماء البحر ثم امتحن فعل قوّاتٍ متفاوتة من الضغط في انواعٍ مختلفة من الحيوان

فبدأ امتحاناتهِ بالموادّ الخميرية بان اخذ خمير الجعة وعرضهُ على ضغط الف جوٍّ بضع ساعات ثم رفع عنهُ الضغط وجعلهُ في ماءٍ مذابٍ فيهِ مقدارٌ من السكر فلبث كامنًا ساعة من الزمان لا يبدي حراكًا ولا يظهر فيهِ ما يدلّ على الحياة ثم عاد من بعد ذلك الى حالهِ الاولى كما كان قبل الضغط . وعاد فعرضهُ وهو في سكَّر العنب على ضغط ٦٠٠ الى

٧٠٠ جوّ فكان كلما ازداد عليهِ الضغط ابطأَت حركتهُ وتوقفت اعمالهُ فاذا رفع عنهُ عاد الى ما كان عليهِ من حركتهِ واتمام وظائفهِ

ولا يخفى ان سطح الابحر والاوقيانسات مشحون بجسيمات حويصلية حية فالمأْخوذ من التجارب المتقدم ذكرها انهُ اذا نُقلت تلك الجسيمات الى اللجج القعيرة ماتت لوقتها او لبثت في حال السكون لقوة الضغط عليها . اما ما يتعلق بالنبات فقد عُلم انهُ لا يتجاوز ٦٠ مترًا عمقًا بخلاف الحيوان ومع ذلك فقد أُخذ شيءٌ من الغلفق البحريّ وعُرض على ضغطٍ معلوم ثم وُضع في الشمس فما لبث ان مات وتفرّق اتصالهُ في بضع ساعات . وعُرضت بعض البزور على ضغط الف جوّ فلما رُفع عنها الضغط لبثت اسبوعًا في حال الكمون التام ثم اخذت بعد ذلك في التفريخ حالة كون غيرها من البزور التي لم تضغط قد فرّخت قبل ذلك بزمان

ثم امتحن فعل الضغط في ضروبٍ من النقاعيات الحيوانية فبعد ان عرضت على ضغط ٦٠٠ جوّ سقط بعضها الى قعر الانبوب الذي أُجري فيهِ الامتحان ولبث البعض الآخر في سكون لا تظهر لهُ حركة تحت المجهر ولكنهُ عاد في زمنٍ يسير الى ما كان عليهِ قبل ذلك . واجريت ايضًا امتحانات مثل هذه في الهلاميّات والقشريات وغيرها من الحيوان فكانت النتيجة من كل ذلك ان الضغط الشديد يفضي الى الموت في جميع هذه الاحوال

ولم تُقصر هذه التجارب على مثل ما ذُكر من الحيوانات المنحطّة في البناء ولكنهم اجروها في الفقريات ايضًا فاخذوا سمكةً وعرضوها على قواتٍ متفاوتة من الضغط فلم يظهر فيها شيء الى ضغط ١٠٠ جوّ فلما بلغت الى ٢٠٠ استرخت قواها وتخدلت فلما رُفع عنها الضغط عادت بعد قليل الى ما كانت عليهِ ولما بلغت الى ضغط ٣٠٠ جوّ اشرفت على الموت وعند ضغط ٤٠٠ جوّ ماتت فعلاً وتيبست تيبسًا شديدًا . ومن هنا عُلم ان الاسماك يمكن ان تغوص في اللجج الى ما بين ٦٥٥٠ و٨١٨٨ قدمًا فاذا تجاوزت هذا الحدّ هلكت

وقد اخذوا يبحثون في هذا التيبُّس الذي يحدث بعد الموت فكان من جملة التجارب التي امتحنوها في ذلك ان بعضهم عرض فخذ ضفدعة على ضغط ٤٠٠ جوّ فتيبست الفخذ تيبسًا شديدًا حتى كان كسر الجسد برمتهِ الى شطرين اسهل من ليّ العضو

المتيبس وهو يحدث حال وقوع الموت ويلبث الى ان يبتدئ الفساد في الجثة . ومن الغريب انهم وجدوا العضو المعروض على الضغط يزيدهُ عما كان عليهِ قبلُ فقد وزنوا احد اطراف ضفدعة قبل الضغط فكان ١٥ غرامًا ثم وزنوهُ بعد ضغط ٦٠٠ جوٍّ مدة خمس دقائق فكان ١٧ غرامًا وهذا عكس ما يحدث في الحيوانات الغائرة اذا رُفعت الى سطح البحر فان قوامها حينئذٍ يصير هشًّا سهل التفتت كما اشرنا اليهِ من قبل ولا تزال الامتحانات جارية في هذا البحث الجديد للوقوف على معلوماتٍ وافية فيهِ

حل المسئلة الجبرية الاولى من الجزء التاسع

المعادلة $\sqrt{\text{د}+\text{ك}}+\sqrt{\text{د}-\text{ك}}=\text{ب}\sqrt{\text{د}^2-\text{ك}^2}$

بتربيع الجانبين والمقابلة لنا

(١) $\text{ب}^2(\text{د}^2-\text{ك}^2)-2\sqrt{\text{د}^2-\text{ك}^2}=2\text{د}$

لنفرض $\text{د}^2-\text{ك}^2=\text{ل}^2$ وبالتعويض لنا

(٢) $\text{ب}^2\text{ل}^2-2\text{ل}=2\text{د}$ وباتمام التربيع الخ لنا

(٣) $\text{ل}=\frac{1}{\text{ب}^2}+\sqrt{\frac{2\text{د}}{\text{ب}^2}+\frac{1}{\text{ب}^4}}$ وبتربيع الجانبين لنا

(٤) $\text{ل}^2=\left(\frac{1}{\text{ب}^2}+\sqrt{\frac{2\text{د}}{\text{ب}^2}+\frac{1}{\text{ب}^4}}\right)^2$

ولنا حسب الفرض $\text{ك}=\sqrt{\text{د}^2-\text{ل}^2}$ وبالتعويض عن ل^2 بقيمتها في (٤)

$\text{ك}=\sqrt{\text{د}^2-\left(\frac{1}{\text{ب}^2}+\sqrt{\frac{2\text{د}}{\text{ب}^2}+\frac{1}{\text{ب}^4}}\right)^2}$. انتهى

ثم اننا ننبه الرياضيين الى حل مسئلتنا المدرجة في ذلك الجزء عينهِ وهي ما قيمة كلٍّ من (ك) و(ي) في هاتين المعادلتين

$\text{ك}^2+\text{ي}^2=\text{ب}$ و $\text{ك}^2\text{ي}+\text{ك}\,\text{ي}^2=\text{د}$

احد المشتركين في مجلة الطبيب

مراسلات

ورد الينا من حضرة صديقنا الفاضل الدكتور سليم افندي الحلج هذه الرسالة فاثبتناها بنصها الشائق

نفثة مصدور

قرأت في هذه الاثناء في المجلّة العلمية الفرنسوية الصادرة بتاريخ ١٩ تموز الغابر خبر انشاء مجلة طبية في مدينة الاسكندرية تسمى "بالاتحاد الطبي المصري" تصدر كل شهر مرتين باللغتين الفرنسوية والطليانية معهودة الادارة والانشاء الى لجنةٍ من الاطباء القاطنين في ذلك القطر ولدى تصفحي اسماء اللجنة المذكورة لم اجد بينها اسمًا لطبيبٍ مصري او تركي او سوري بل جميعهم اجانب من فرنسيس وطليان وانكليز ويونان واسبانيول وغيرهم . وغاية هذه المجلة كما يؤخذ من الخبر المذكور تقرير الحوادث المهمة المتعلقة بالامراض الخاصة بالقطر المصري وشرح الحالة الطبية المصرية (التيبوغرافية الطبية) والمواظبة على البحث في مسائل علم الصحة الكبير الاهمية وعلى الخصوص في الاقطار المشرقية التي لا يزال هذا العلم فيها اسمًا بلا مسمى (كذا) الى آخر ما ذُكر من هذا القبيل

واني على علمي بما يترتب على هذه المجلّة من المنافع الجمة واعترافي بفضل القائمين بها لا ارى بدًّا من التصريح بالنكير على الطريقة التي سلكوها الى هذا المقصد واستئثارهم على اطباء البلاد بهذا العمل الوطنيّ الخطير مع ما يستشفّ من خلال كلامهم من قلة الاعتداد باطبائنا الوطنيين مع انهُ لا يجهل احدٌ ان في مصر مدرسةً عالية قديمة العهد تدرَّس فيها العلوم الطبية بجميع فروعها وقد خرج منها من نطاسيي الاطباء من وضح في الآفاق فضلهم وعُرف في صناعة الشفاء نبلهم وفيها من الاساتذة الوطنيين المشهورين في هذا الفن عصابة لهم في حلبة الطب سباقٌ معلوم وفضلٌ غير مكتوم بما انتشر لهم من التصانيف الكثيرة وما اشتهر عنهم من الاعمال الخطيرة فمن الغريب بعد هذا ان لا يوجد من هولاء كلهم في الاسكندرية ولا في سائر القطر المصري من يكون اهلاً لان ينتدَب للانضمام في عضوية

اللجنة المذكورة وما اخال السبب في ذلك الا ضعف ثقة ساداتنا الاوربيين بعلمهم كما يشف عنهُ كلام المجلة المذكورة مع علمنا اليقين بان جماعةً منهم قد اخذوا الطب عن المدارس الاوربية نفسها . . . ففي ذلك من الاجحاف بفضل اطبائنا الوطنيين ما لا يحسن التغاضي عنهُ ولا يجمل السكوت عليهِ وما كان احدرهم ان يكونوا هم البادئين بهذا العمل الجيد والصنع المفيد في ظل الحضرة الخديوية ايدها الله واعلى بها منار العلم على ما عُهد بها من الاخذ باسباب فلاح الوطن وتوثيق الالفة بين المستظلين تحت لوآء عدلها الرفيع ولا يتخلَّوا عن هذه المأثرة الوطنية لعصابةٍ من الاجانب تتباين اجناساً والسنةً واوطاناً وتباين الوطن المصريّ بل الشرقيّ جملةً فتملأُ بطون الصحف من الكلام على تاريخ بلادنا وعلومها وصنائعها وامراضها واحوالها الصحية ونحن لاهون عن ذلك مع تحمل الازدهاء والامتهان

ولقد كان بودّي لو ائتلفنا نحن الاطباء المنضمين بجامعة هذا اللسان العربي من مصريين وسوريين وتعاضدنا للقيام بمثل العمل المشار اليهِ وما ياخذ اخذهُ من انشاء المجامع العلمية الطبية سعياً في تحصيل الفوائد الصحيحة وتقرير الحقائق الراهنة الصادرة عن خبرةٍ لا يشوبها جهلٌ ولا التباس فانَّ تقاعدنا عن ذلك ولا سيما بعد السبق اليهِ والغلبة عليهِ لمن مداعي العار والهوان وبواعث الانحطاط والخسران

هذه تذكرتي ارفعها الى اخواني الاطباء الوطنيين راجياً ممن اطلع عليها ان لا يحملها على شيء من سوء القصد وانما هي نفثة مصدور غلبتني على بثها الاريحية الوطنية وفي مأمولي انها لا تعدم من ذوي الغيرة اقبالاً ولا تخلو عن منفعةٍ ان نفعت الذكرى

من بيروت في ٢٥ آب سنة ١٨٨٤ (بحروفها)

استدراك

قد اطلعنا في طبيبكم الاغر على المقالة التي اثبتُّم فيها احصآء مدارس بيروت ولبنان ولدى تصفحها لم نجد بين تلك المدارس ذكرًا لمدرسة عين القشّ التي انشأها المثلث الرحمة المطران اغابيوس الرياشي واغناها بالاوقاف الوافرة والاملاك العامرة حتى ان ريعها كافٍ للقيام بنفقات ٥٠ تلميذًا ومعلميهم مجانًا واذا فُرض على كل تلميذ المبلغ الذي تحتمله حالهُ سنويًا امكن ان يجتمع في المدرسة المذكورة الى ١٠٠ تلميذ وعلى هذا الوجه تُعَدّ من

اكبر مدارس لبنان الحرية بالذكر. نعم لا ننكر انها الآن لا تستحق ان تدخل تحت عداد الكتاتيب الصغيرة التي ذكرتموها اجمالاً لانهُ منذ وفاة منشئها الطيب الذكر الى هذا اليوم لم يدخلها تلميذ ولم يقرأ فيها حرف ولكننا رغبنا اليكم في ذكرها لاننا اسفنا على هذه المأثرة الكريمة ان تبقى مطوية تحت ظلال التعطيل ورجاء ان يكون في ذلك ذكرى لارباب الحل والعقد لعلهم ينشطون لحلّها من عقال عطلتها واخراج منافعها الى حيز الوجود فانهُ ولاشك لو كانت هذه المدرسة مفتتحة منذ التاريخ المذكور قبلاً وهو نحو ثماني سنين وفرضنا ان التلميذ يستكمل دروسهُ في اربع سنين لكان قد خرج منها الى الآن نحو مئة تلميذ على اقلّ التقديرين المذكورين سابقًا وهي خسارة تذكر بالنسبة الى حال البلاد والى حال هذه الطائفة على الخصوص. فنرجو من كرمكم اثبات هذه الاسطر في مجلتكم الغراء ان وجدتم لها مسوّغًا والا فلكم فيها رايكم الموفق ان شاء الله

احد قرآء الطبيب

من ابناء طائفة الروم الملكيين

في بيروت

قلنا اننا لم نذكر المدرسة المشار اليها في جملة مدارس لبنان لما عُلم من ان غرضنا متعلق بالمدارس العاملة او التي في حكمها وهي التي عُطّلت تعطيلاً موْجلاً على رجاء العود الى افتتاحها قريبًا كما لم نذكر في جملة مدارس بيروت المدرسة الوطنية للطيب الذكر المعلم بطرس البستاني للسبب عينهِ مع ما اشتهر لهذه المدرسة من الفضل العميم في خدمة الوطن والسبق في هذه الحلبة مما ينطق بالثناء على منشئها الفاضل ويستدرّ عليهِ الرحمة والثواب. وانّا لنوافق مكاتبنا الفاضل على ما ابداهُ من افتقار البلاد الى مثل المدرسة المذكورة والاسف على ضياع منافعها وما فيها من المأثرة والذكر الحميد وفي مأمولنا ان ما تفضل بهِ من الكلام يوافق ممن وجه اليهم سمعًا واعيًا وقلبًا صاغيًا والله المسؤول ان يسدّدنا جميعًا الى ما بهِ نفع العباد وعمران البلاد بمنهِ وتوفيقهِ

ثم انهُ قد فاتنا ان نذكر في جملة مدارس بيروت مدرسة باكورة الاحسان التي عُنيت بانشائها جمعية زهرة الاحسان وهي الجمعية التي عقدت في هذه المدينة منذ سنة ١٨٨١ من بعض ربات الفضل والصلاح من خواتين طائفة الروم الارثوذكس لعمل

المبرّات ونشر الآداب الانثوية وكانت باكورة اعمالها العلمية انشاء هذه المدرسة كما يدل على ذلك تسميتها وهي اول مدرسةٍ وطنية انشئت لتعليم الاناث تعلّم فيها العربية والفرنسوية بآدابها والرسم والموسيقى وتدبير المنزل وفنون اليد وكانت تلميذاتها في هذه السنة ٨٠ منهنّ ٢٠ مجانيات ومدرّساتها ومدرّسوها ٨

وصايا صحّية

المداواة بالعنب — ليس من غرضنا ان نثبت في هذه الجملة مزية العنب على سائر الثمار من حيث هو فاكهة لذيذة الطعم طيبة النكهة فان ذلك مما لا يحتاج الى التنبيه عليهِ وانما اردنا ان نذكر على سبيل الايجاز طريقة المداواة بهِ ومنفعتهُ في بعض الاحوال المرضية وما لهُ من الاثر الحميد في تحسين الصحة وتقوية الجسم وافادتهِ سمنًا نافعًا فاننا في الفصل الذي يجب ان لا تهمل فيهِ منافعهُ

اذا استعمل العنب غذآء على طريقةٍ مرتبةٍ في اوقات معينة يُكسِب الجسم عافيةً ويفيدهُ نشاطًا ويعوّض عن هزالهِ بالسمن وذلك لانهُ يتضمن كثيرًا من العناصر المفيدة حتى شبه بعضهم عصار العنب بلبن النسآء وشبههُ آخرون بلبن الفرس وهو اقرب الشبهين لكثرة ما يتضمنهُ من المادة السكرية التي تقوم مقام المادة المعروفة باللبنين وهي العنصر الاصلي في اللبن. على انهُ يُفرَق عن اللبن بانهُ لا يوجد فيهِ شيءٌ من الزبدة ولكنهُ يتضمن بدلاً عنها الحامضين المعروفين في اصطلاح الكيماويين بالحامض التفاحيك والحامض الطرطريك صرفين او متحدين ببعض المواد كالبوتاسا فيتكون من هذا الاتحاد املاح البوتاسا المزدوجة القاعدة وهذه الاملاح تنحل بفعل التغذية فلذلك يكون العنب دوآء نافعًا في بعض الاحوال المرضية التي سنذكرها لتضمنهِ المادة البوتاسية القلوية الكثيرة النفع فيها

واحسن انواع العنب للغذآء والتداوي ما كانت قشرتهُ رقيقة وحجمهُ قليلاً صغيرًا مستدير الشكل وجوهرهُ متماسكًا وحلاوتهُ ليست بالشديدة فان بعض انواعهِ مما لا توجد فيهِ الصفات المذكورة قد يضرُّ ولا ينفع لان كثيرًا منهُ يكون مسكرًا ثقيلاً على المعدة يحدث تخمةً وقد يكون سببًا في حدوث البردآء وغيرها من الحميات الغيلية . اما مقدار ما يستعمل منهُ

فمن ثلاث اواقيّ الى رطل ونصف فاكثر موزعًا على ثلاث مرارٍ صباحًا وقبل الظهر ونحو العصر في فترة ما بين طعام وطعام . ويجب ان يبتدأ استعمالهُ بالقدر اليسير ويُزاد كل يوم تدريجًا ويداوَم عليهِ شهرين فاكثر واذا لم يجد مستعملهُ فائدة بهِ وارتياحًا اليهِ يقتصر منهُ على القدر اليسير وفي كل حال يجب مص العصار ولفظ العجَم والقشر

ومما يعين على حصول النفع بهِ الاعتدال في المآكل وترتيب اوقاتها ترتيبًا موافقًا لحالة الصحة وعوائد المريض وينبغي ان يُعوَّل معهُ على استعمال اللحوم بانواعها ويمتنع عن المآكل الكثيرة الادام حذرًا من حدوث التخمة ويُعتمَد على الرياضة فانها متمّة للنفع داعية الى العافية

اما المنافع الحاصلة من استعمال العنب فمنها ما قدَّمناهُ من تقوية الجسم وتحسين الصحة العامة وحصول السمن ومنها زيادة شهوة الطعام وسهولة حدوث الهضم وادرار البول وبعض انواعهِ يُحدِث اسهالاً فيكون نافعًا في القبض المستعصي والبعض يُحدِث قبضًا فيكون نافعًا في الاسهال وذلك انما يُعرَف بالاختبار فيمكن ان يغير النوع المستعمل تبعًا للغاية المقصودة

واما الامراض التي تفيد فيها المداواة بالعنب فهي على ما ذكر بوشردا عسر الهضم والقبض الاعتيادي والباسور وامراض الكبد المزمنة مع يرقان او بدونهِ والقولنج الصفراوي والحصى الكبدية وضخامة الطحال التابعة للحميات المتقطعة وبعض حوادث الذرَب المزمن وزكام المثانة وبعض حوادث الحصى البولية والمثانية . وقد وُصفت المداواة بالعنب في احوال التسمم باملاح الزئبق والرصاص وفي النقرس ولكن يُشترَط ان تكون مصحوبة في هذه الحالة الاخيرة برياضة عنيفة. وقيل ان استعمال العنب يفيد في زكام الشعب المزمن والسل والخنازير وفي الدرجة الاخيرة من الشهقة وفي السوداء (الهيبوخندريا) والهستيريا المصاحبة للمرض الاخضر وفي امراض الجلد النفاطية المزمنة اذا لم يكن في البول سكر وغير ذلك. على ان منفعتهُ في بعض هذه الاحوال لا يُقطَع بها ولكنهُ على كل حالٍ مأمون العاقبة اذا استُعمل بمقتضى القوانين المذكورة .

آثار ادبيــة

كتاب لمحة الناظر في مسك الدفاتر – كتابٌ اغنى اسمهُ عن تعريفهِ تأليف حضرة الفاضل الكامل المعلم ظاهر خيرالله الشويري اودعهُ جلّ مهمات هذا الفنّ الانيق على طريقٍ جديد المنحى عميم الفائدة سهل الاستعمال وذيّلهُ برسالةٍ سماها ترويض المباشر ضمنها المسائل العملية في الفن المشار اليهِ مرتبةً ترتيبًا لطيفًا واضح المسلك حسن الاطّراد تتم بها الفائدة النظرية المستفادة من الكتاب. فجاء مؤلّفهُ هذا غايةً في بابهِ جامعًا بين العلم والعمل صالحًا للطلب المدرسيّ والاستعمال المتجريّ على وجهٍ قريب المأخذ كافلٍ بالغنى. فنحن نثني على المؤلّف الثناء الجميل ونحثّ اهل الوطن على اغتنام فوائد هذا الكتاب فانهُ اثمن ذخيرةٍ للطلاّب واكرم هديّةٍ للكتّاب

كتاب كليلة ودمنة – تلقينا نسخةً جديدةً من هذا الكتاب بارزةً في وشيٍ يخجل الحِبَر الفارسية وطرازٍ يليق ان تحلى بهِ المطارف السندسية قد عُني بتمثيلها حضرة الكاتب الاريب الشيخ خليل اليازجي بعد ان جمعها من ثلاث نسخٍ مختلفة احداها النسخة المطبوعة في باريز سنة ١٨١٦ بعناية الطيّب الذكر العلاّمة دساسي المشهور الآتي ذكرها والثانية نسخةٌ مطبوعة من عهدٍ غير بعيد بكمال العناية والتصحيح في مطبعة بولاق المشهورة والثالثة نسخةٌ قديمة قد خُطّت مذ سنة ١٠٢٠ للهجرة. فانتقى من هذه الثلاث نسخةً واحدة جاءت جامعةً لمحاسنهنّ مهذبةً مما في بعضهنّ من شوائب التحريف والتصحيف وقد نقّح حكايتها مما لا يلائم آداب العصر وزاد في بعضها ما اقتضاهُ سياق الكلام ومتابعتهُ وضبط الفاظها بالشكل الكامل مع تفسير الغريب منها فجاءت نسخةً كاملة وافية بالفائدة والفكاهة على غير غثاثةٍ ولا اشكال حريةً بان تحوز رضى الخاصّة والعامّة وان تُسمَع في مدارس الادب ومجالس اللهو ووراء الحجال

ولا بأس ان نلمّ في هذا الموضع بذكر شيءٍ من تاريخ هذا الكتاب وما تقلب عليهِ من الاطوار وما بلغ اليهِ من ترامي الذكر وبُعد الشهرة وكثرة تداول الايدي لهُ واشتغال الناس بهِ على اختلاف طبقاتهم ومذاهبهم واجماعهم على ايثارهِ وتفضيلهِ على ما سواهُ من الكتب الموضوعة والاقاصيص المصنوعة وذلك لما اشتمل عليهِ من الاغراض الادبية

والسياسية وما استنبطنهُ من فنون العلم والحكمة تحت ثوب الفكاهة واللهو بحيث اخذ من كل فؤادٍ موضعاً وكان فيهِ لكل ناظرٍ اربٌ ولكل مطالعٍ لذّة . وقد انفرد عن سائر ما كُتب في هذا النوع بمزيتين هما حدّ الاعجاز اولاهما كثرة ما فيهِ من الحكايات المتواصلة والامثال المتداخلة بحيث يجد فيهِ المتفكه فنوناً من الحديث ذاهبةً كل مذهب على ارتباط بعضها ببعض وايراد كلٍّ عن سبب . والثانية انهُ لم يَخلُ فيهِ حرفٌ الاَّ قُصد بهِ شيءٌ من الحكمة العائدة الى توفير مادّة العقل وتهذيب السيرة والسريرة والدربة في الاحوال المعاشية والمعادية فهو من الوجهين غايةٌ في بابهِ لا تجد لهُ مثيلاً في جميع ما اشبههُ من التصانيف حتى انهُ معدودٌ من كنوز الحكمة المشرقية بل الحكمة الآدمية التي لم يجتمع منها في كتابٍ ما اجتمع فيهِ على صغر حجمهِ وقلّة جرمهِ . ولذلك عُنيت كل امةٍ من امم الحضارة مذ عهد الفرس والعرب من بعدهم الى عهدنا هذا بنقلهِ الى لسانها وما زال مطمحاً لنظر الملوك ومحلاً لارتياحها وايثارها وشغلاً شاغلاً لاهل العلم حتى استخدم كثيراً من اكابرهم وخاصتهم بنقلهِ وتهذيبهِ ومعارضتهِ وتحويل ما لا يوافق رأيها منهُ الى ما يوافقهُ وحسبك انهُ على كثرة نسخهِ في كل لسان لا تكاد تجد واحدةً منها تطابق الاخرى بل كثيراً ما ترى في اللسان الواحد منهُ عدة نسخ كل واحدةٍ منها صورةٌ مستقلّة حتى ذكر العلاّمة دساسي انهُ كان بين يديهِ سبع نسخ منهُ في العربية وحدها كل واحدةٍ منها مباينة للاخرى في متن القَصَص وعدة الابواب وترتيبها حتى اشكل عليهِ اختيار نسخةٍ يعتمدها في الطبع وذكر لهُ فضلاً عن ذلك بضع عشرة نسخةً في غير العربية لم تتفق اثنتان منها على نصٍّ واحد وهو منتهى العجب

وقد اجمع المحققون على ان هذا الكتاب من اوضاع الهند وان ورد في بعض الروايات الضعيفة ما يخالفهُ. وفي مقدّمة الكتاب لعليّ بن الشاه الفارسيّ ان واضعهُ بيدبا (او بيلبا) الفيلسوف الهندي بايعاز الملك دبشليم في حديثٍ مذكورٍ هناك والذي يؤخذ من هذه الرواية ان زمن وضعهِ كان قريباً من عهد الاسكندر الكبير فيكون نحو اواخر القرن الرابع قبل الميلاد . وذهب المتأخرون من علماء هذا العصر الى ان واضعهُ رجلٌ من حكماء البراهمة يقال لهُ وِشنوشرما كان مؤدّباً لابناء احد ملوك الهند في زمن مجهول قيل قبل الميلاد بالفي سنة وقيل بعد ذلك بقرونٍ كثيرة وقيل قبل الميلاد بمئتين وخمسين سنة وعلى هذه الرواية يكون بيدبا ودبشليم من جملة الاسماء الموضوعة في الكتاب والله اعلم

واول من انتسخ هذا الكتاب من الهندية طبيبٌ فارسيٌّ يقال لهُ برزويه وهو المذكور في مقدمة الكتاب انفذهُ كسرى انوشروان الى الهند في اوائل القرن السادس للميلاد فنقلهُ الى اللسان البهلويّ وهو اللسان الفارسيّ القديم وقبل كان لغة ماداي. وكان الاصل الهنديّ فيما نقلهُ دساسي عن ابي المعالي نصر الله بن عبد الحميد الفارسيّ الآتي ذكرهُ عشرة ابواب وهي باب الاسد والثور من النسخة المشار اليها قبل الى باب الاسد وابن آوى الناسك وباب اللبوة والاسوار والشعهر وسائر الابواب مزيدة في النسخة البهلوية الّا باب عرض الكتاب فانهُ لعبد الله بن المقفَّع زادهُ عند تعريبهِ لهذا الكتاب على عهد الخليفة المنصور في اوائل القرن الثاني للهجرة شرح فيهِ بيان ما تضمنهُ الكتاب والغاية التي جرى اليها واضعهُ والثمرة التي ينبغي للحكيم ان يلتمسها فيهِ. وقد عارض في هذا الباب سائر ابواب الكتاب بما اودعهُ من البلاغة والحكمة وضرب الامثال ما دلَّ على ما أُوتيهُ من قوّة الذهن ونُبل النفس وسعة الخاطر فضلاً عما اودع الكتاب برمتهِ من الفصاحة والسبك وحسن اختيار الالفاظ والاساليب حتى لا يتبين فيهِ اثرٌ للتعريب. ومع كثرة ما تقلب عليهِ من التبديل والتحويل وما اعتورهُ من تحريف النساخ طورًا بعد طور لا يزال آيةً في الفصاحة ينادي بلسان حالهِ يبلى القميصُ وفيهِ عَرْفُ المندلِ

واول نسخةٍ لهذا الكتاب ذُكرت بعد العربية النسخة اليونانية لسمعان بن شيت نقلها عن العربية في اواخر القرن الحادي عشر للميلاد. ثم النسخة الفارسية لأبي المعالي نصر الله بن عبد الحميد المذكور قبل لعهد بهرام شاه الغزنويّ في اوائل القرن السادس للهجرة نقلها عنها ايضًا ولعلّ بين الترجمتين ما لا يزيد على عشرين سنة. وتواترت ترجمة الكتاب بعد ذلك الى لغاتٍ شتى فنُقل الى اللاتينية والعبرانية والسريانية والطليانية والاسبانيولية والفرنسوية والالمانية والتركية والملقية والهندية الحديثة وغيرها ولهُ في بعض هذه اللغات نسختان فاكثر. وذُكر ان الاب دوبواس نقلهُ الى الفرنسوية سنة ١٨٢٦ عن الهندية القديمة نفسها. وكل هذه النسخ ما خلا النسخة الاخيرة ماخوذةٌ عن نسخة ابن المقفَّع لان النسخة البهلوية ذهبت من ايدي الفرس عند غزوة العرب لهم على عهد الملوك الساسانيين فبقيت النسخة العربية خلفًا عنها واليها ينتهي غيرها من النسخ المتداولة في سائر اللغات

تنبيـــه

لا يخفى ان ما نكتبهُ احيانًا من الفوائد الصناعية انما هو تتمة لاتأسيس نعني اننا انما نكتب بهِ الى ارباب الصناعات ممن أَلِفوا اصطلاحهُ واختبروا وجوه استعمالهِ لا الى الذين لم يتعاطوا تلك الصناعة حتى يكون بمنزلة تعليمٍ لهم. وقد ورد علينا من ايامٍ اعتراض من احد قرآء الطبيب في دمشق يذكر فيهِ انهُ امتحن طلآء الخشب الذي اوردنا صفتهُ في الجزء الثامن من قلم الذكي النجيب انطون افندي الجاويش وانهُ كرر الامتحان مرتين فلم يصحّ لان السندروس لم ينحلّ في الكحول ويسألنا ان نمحنهُ بانفسنا. قال وانما اجرى هذا الامتحان ليرى موضع الطبيب من صحّة ما يصفهُ لا لانهُ محتاج الى الطلآء المذكور لانهُ ليس من اهل هذه الصناعة وهنالك كلامٌ آخر اضربنا عن نقلهِ خوف الظنّة والعبرة بما ذكرناهُ

ولما كنا واثقين بصحة ما اوردناهُ هناك من الفوائد لعلمنا بان كاتبها لم يثبتها الاّ عن خبرة عمدنا الى امتحان العمل فصحّ معنا من اول مرّة وذلك بان وضعنا الكحول على النار على نحو ما وُصف هناك ووضعنا فيهِ السندروس اولاً وحركناهُ تحريكًا متواصلاً وهو في درجة الغليان حتى ذاب عن آخرهِ ثم اضفنا القلفونيا وبعد ان ذابت افرغنا المزيج في زجاجةٍ هي الساعة بين ايدينا ولما اخذ هذا الطلآء يصفو استعملناهُ فاذا هو في غاية الجودة. ولذلك فرجاؤُنا في الذين يحبون امتحان ما نصفهُ ان يستعينوا عند الامتحان باهلهِ العارفين بهِ ولا يكلفونا مثل هذا الاعنات

ملحة عصرية — وقف "احد مشاهير الاساتذة النلكيين" في تلامذتهِ يخطب فيهم وحضهم على الاجتهاد والثبات ثم قال واني اضرب لكم مثلاً على ذلك يغنيني عن اطالة الشرح اني كنت قرأت في احدى الجرائد الاميركانية (لعلها السيانتفك اميركان) ان البيض البرشت (١) من انفع ما استعمل الخطباء لجلاء الصوت وتقويتهِ وكنت اكره البيض البرشت حتى لا تقوى معدتي على ضبطهِ لكني غالبت نفسي على اكلهِ مرة بعد اخرى وثبتُّ على ذلك مدةً وهآ نذا اليوم بحمد الله اول آكال بيض برشت. انتهى بلفظهِ

---

(١) هو البيض الذي لم يبالغ في شيهِ فبقي لا جامدًا ولا مائعًا "والكلمة فارسية "اصلها نيم برشت ومعنى نيم نصف وبرشت مشوي ثم تصرفت فيها العرب فقالت نيمرشت او نمرشت وخففوا في هذه الايام فاسقطوا "النون والميم والرآء" وجعلوا مكانها البآء والرآء